مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة

رؤى حيدر المومني *

ملخص

يهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة. ويتألف من مقدّمة ومبحثيْن وخاتمة. في المقدمة، يناقش الباحث وجهتي النظر اللتين تَعتبر أولاهما أن الأدب والسياسة عالمان منفصلان لا علاقة بينهما، في حين تقول الأخرى بوجود علاقة وثيقة بين الأدب والسياسة. وفي المبحث الأول، يحاول الباحث توضيح مفهوم الأدب، مستنداً إلى رؤية كلّ من الفيلسوف الوجودي الفرنسي الشهير جان بول سارتر، والمفكر والناقد الإنجليزي تيري إيغلتون، وهما من أبرز من حاولوا البحث عن إجابة للسؤال: "ما الأدب؟". أما في المبحث الثاني، فيوضح الباحث مفهوم الأدب السياسي في محورين هما: "تأديب السياسة"، الذي يُناقش تأثير الأدب في السياسة، و"تسييس الأدب"، الذي يتناول تأثير السياسة في الأدب. استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي لوصف آراء أبرز المفكرين والنقّاد العالمين الذين كانت لهم نظريات في مفهوم الأدب، وتحليل تلك الآراء والنظريات للتوصل إلى نتائج حول مفهوم الأدب بشكل عام، إلى جانب مصطلحات أخرى ذات علاقة؛ مثل الأدب الملتزم، والأدب التخيلي، وخيانة الأدب، وثنائية الكاتب– القارئ. كما استخدم المنهج التحليلي التاريخي لاستعراض عدد من الأعمال الأدبية التي كان لها أثر في السياسة وكيفية تطوّر العلاقة بين الأدب والسياسة منذ القرن السادس عشر وحتى الآن؛ للوقوف على ما أحدثه الأدب من تغييرات في المجتمعات. وتوصل الباحث إلى جملة من النتائج أهمها أن الأدب السياسي ما هو إلا وسيلة لتسليط الضوء على الصراع المستمر الذي يعيشه المجتمع مع السلطة السياسية ومحاولة لاستنهاض همم الشعوب سعياً وراء التغيير نحو الأفضل، وهو إلى جانب ذلك محاولة للتأريخ للأحداث والوقائع السياسية. ومن النتائج التي توصل إليها الباحث أيضاً أن السلطة السياسية دأبت على الدوام، ولا تزال، على تفسير الأدب وفق مصالحها، على نحو يتيح لها ضمان بقائها وتنفيذ برامجها السياسية وترسيخ هيمنتها. وتلخص الخاتمة أهم نتائج البحث.

الكلمات الدالـة: الأدب، السياسة، الأدب السياسي، العلاقة بين الأدب والسياسة، تسييس الأدب، تأديب السياسة.

المقدمة

تتفاوت الآراء بشأن وجود علاقة بين الأدب والسياسة؛ فثمة من يرى أنهما عالمان منفصلان. ويستند أصحاب هذا الرأي على أنّ عالم الأدب عالم شفاف يزخر بالمشاعر الإنسانية، في حين أن عالم السياسة عالم جاف يقوم على المصالح ولا مكان فيه للعواطف. من ناحية أخرى، ثمة من يرى أن الأدب والسياسة مترابطان، يتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه. وإذا نظرنا إلى هذا الأمر نظرة عميقة، وجدنا أن "الإنسان"، أو المواطن، هو المحور الرئيس الذي يدور حوله كل من الأدب والسياسة؛ فالأدب يمتلك القدرة على تشكيل فكر المتلقي برغبة وإرادة كاملتين منه، في حين أن السياسة تفرض ما تريده قسراً على الفرد. وعندما تخفق السياسات، يكون المواطن أول من يشهر سلاحه في وجهها لأنها لم تأخذ خياراته بعين الاعتبار. ويمكن القول إن الأدب يشكل في كثير من الأحيان خطراً على السياسة؛ فهو يشير إلى مكامن الخطأ ويستفز مشاعر القارئ ويشحذ أفكاره ويمدّه بالقوة الروحية التي تتيح له أن يقول لا. ولا يتجاوز الحقيقة من يقول إن غالبية الثورات والتغييرات الجذرية في العالم لم تكن سوى نتاجٍ لأفكار. والأدب مؤثر أساسي في تشكيل فكر الشعوب وسلوكها، ومن هُنا كان لا بُدّ من أن يكون الأديب على دراية بالسياسة؛ ليس من أجل أن يقوم بالثورات، وإنما ليعي دوره في المجتمع ويضطلع بالمسؤولية الملقاة على كاهله لأنه لا يكتب لنفسه. وعندما يعي الأديب هذا الدور، فإنه يُنتج أدباً جادّاً ومسؤولاً ويكون عنصراً مؤثراً في مجتمعه.

ويمكن للأدب أن يكون مزعجاً للسياسة؛ فهو الوسيلة الأولى للتعبير عن إرادة الحرية والتغيير. فقد أدت "جملة أدبية" من كلمتين تلفّظ بها رجل السياسة الشهير مارتن لوثر كينغ، وهي " لديّ حُلم"، إلى تغيير تاريخ السود في أمريكا (لوثر كينغ الابن، مارتن،

* طالب دكتوراة، كلية الأمير حسين بن عبد الله الثاني للدراسات الدولية والعلوم السياسية، الجامعة الأردنية، عمان– الأردن. البحث مستلّ من رسالة دكتوراة يقوم الباحث بإعدادها حالياً. تاريخ استلام البحث 2018/3/26، وتاريخ قبوله 2018/8/6.

© 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

في تعقيب على خطاب والده الشهير الذي ألقي بتاريخ 1963/8/28). كذلك مرّر فولتير ومونتيسكيو أفكارهما المنتقدة لسياسة السلطة عبر المسرح والشعر. وقد شغل كثيرون من الكُتّاب أنفسهم بتحدي السياسة، ومن أبرز الأمثلة على هؤلاء تشارلز ديكنز في روايته الشهيرة " قصة مدينتين"، التي جاءت تعبيراً عن هذا التحدي بين باريس ولندن إبّان الثورة الفرنسية. ويمكن القول إن الكاتب الجادّ الملتزم، العَصيّ على التطويع، البعيد عن المصالح الذاتية الضيقة، يمكن له أن يكون بذرة لتغيير طال انتظاره.

كان الأدب ولا يزال موضع اهتمام أصحاب السلطة من ملوك وأمراء وجنرالات وغيرهم، ومن هؤلاء، على سبيل المثال لا الحصر، الإمبراطور اليوناني هادريان الذي كان يُلقب بالإمبراطور المثقف، ونابليون الذي سخّر الأدب لخدمة مصالحه السياسية. والأدب أيضاً فرصة لأصحاب السلطة لتخليد صفاتهم وأعمالهم، وخير دليل على ذلك، العدد الضخم من المؤلفات الأدبية التي تناولت حياة رجال السلطة من كلّ الجنسيات وفي كل العصور.

من جهة أخرى، فإن شخصية رجل السياسة الذي يمتلك ثقافة أدبية عميقة تختلف تماماً عن شخصية رجل السياسة الذي لا دراية له بالأدب؛ فعندما يكون رجل السياسة رجل أدبٍ أيضاً، فإنه يكون من عظماء رجال السياسة وتدخل مقولاته التاريخ. يقول إليانور روزفلت: "أحياناً أتساءل عما إذا كُنّا سننضج في سياساتنا فنقول أشياء محددة تحمل معنى حقيقياً، أم إننا سنستخدم دائماً عموميات يرضى بها الجميع وهي في الواقع لا تعني إلا القليل" (أبو شرار، 2013). ويقول ديفيد آيزنهاور: "الشعب الذي يضع امتيازاته فوق مبادئه ينتهي إلى أن يخسرهما معاً" (أبو شرار، 2013) ويمكن القول إن تقليص مساحة الأدب في السياسة، وبخاصة في الزمن المعاصر، أنتج نوعاً آخر من السياسة، في الغرب وفي العالم العربي على حدّ سواء، وأفرز شخصياتٍ سياسية لا تكترث إلا بمصالحها الخاصة ولا تُلقي بالاً للاعتبارات الإنسانية، الأمر الذي جعل منها شخصياتٍ تثير الخوف والقلق لأنها مجردة من النظرة الإنسانية للأمور. والسياسة تتقلص مساحتها أمام امتداد إنسانية الأدب فتتحول إلى موضوع من موضوعاته، أما الأدب فلن يكون أبداً ضمن برنامج شخصية سياسية ترشح نفسها لمركز ما. والأوطان تُنسب لكُتابها تماماً كما تُنسب لقادتها وأبطالها؛ ففرنسا هي بلد فكتور هيغو كما هي بلد نابليون، وبريطانيا موطن شكسبير، وروسيا موطن بوشكين ودوستويفسكي، وكلما ذُكرت داغستان تبادر إلى الذهن رسول حمزاتوف. وتحرص ألمانيا على الانتساب لهيغل وغوته ونيتشه لتغطي على حقبة كانت تنتسب فيها إلى هتلر. وعندما كان النازيون على أبواب موسكو، كان ستالين ينادي الشعب الروسي عبر المذياع: "أنقذوا وطن تولستوي وبوشكين" (بو طيب، 2016). وقد كان ذلك نابعاً من إيمان ستالين كقائد سياسيّ فذّ بأنّ الأدب قادر على أن يحرك الجماهير ويحشد تحت راية القلم شعباً بأسره.

في ضوء ما اتّضح من وجود علاقة متبادلة بين الأدب والسياسة، يجيب الباحث عن عددٍ من التساؤلات المتعلقة بمفهوم الأدب السياسي؛ انطلاقاً من توضيح ماهية "الأدب" من منظور كل من الفيلسوف الوجودي الفرنسي الشهير جان بول سارتر، والمفكر والناقد الإنجليزي تيري إيغلتون، نظراً لأنهما من أبرز من كانت لهم مساهمات حول هذا الموضوع.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الإجابة عن السؤال: "ما الأدب؟"، اعتماداً على مناقشة أبرز المفكرين والنقاد العالميين لهذا الموضوع.
2. توضيح مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، وذلك في محورين هما:
   - دراسة تأثير الأدب في السياسة من خلال ما يسمى "تأديب السياسة".
   - دراسة تأثير السياسة في الأدب من خلال ما يسمى "تسييس الأدب".

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يناقش العلاقة بين الأدب والسياسة من جانبين أساسيين هما:

- التأثير الطاغي للأدب في السياسة، الأمر الذي قد يؤثر إيجاباً أو سلباً في حياة الأمم والشعوب. فقد يؤدي الأدب إلى أن تعدّل السلطة السياسة من سلوكها تجاه المجتمع فينتقل بذلك خطوة نحو الحياة الأفضل، وقد يؤدي الأدب إذا ما انحرف عن مساره وتحوّل إلى بوق إعلامي للسلطة السياسية إلى أن تُحكم السلطة قبضتها على المجتمع وتكرس هيمنتها عليه، مستخدمة الأدب أداة لتنفيذ برامجها السياسية والاجتماعية.
- تأثير السياسة في الأدب، والمحاولات المستمرة التي تقوم بها السلطة السياسية لاحتواء الأدب عبر الترغيب والترهيب؛ فأحياناً

تلجأ السلطة إلى إغراء الأدباء بالمال والمناصب لتكون أعمالهم الأدبية موافقة لتوجهات السلطة السياسية ومصالحها وأهوائها، فإذا لم يستجب الأديب وظل ثابتاً على موقفه ورفض "خيانة الأدب"، لجأت السلطة السياسية إلى قمعه بكل ما تملكه من الوسائل المتاحة.

أما الموضوع الأساسي للبحث، وهو العلاقة بين الأدب والسياسة، فتنبع أهميته من أثره الكبير في حياة المجتمعات؛ إذ ربما يدفع بها نحو التقدم والرقي والحياة الأفضل، أو يكرس الجهل والتخلف.

مشكلة البحث

المشكلة التي يحاول هذا البحث مناقشتها هي: العلاقة بين الأدب والسياسة. وتتم هذه المناقشة في محورين أساسيين هما: دراسة تأثير الأدب في السياسة (تأديب السياسة)، ودراسة تأثير السياسة في الأدب (تسييس الأدب).

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

" ما الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة؟ ".

وتتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما الأدب؟ وتتم محاولة الإجابة عن هذا السؤال عبر مناقشة آراء عدد من المفكرين والنقاد الذين أدلوا بدلوهم في وضع النظريات وطرح الأفكار للتوصل إلى إجابة عن هذا السؤال.
2. هل ثمة علاقة بين الأدب والسياسة؟
3. كيف يؤثر الأدب في السياسة (تأديب السياسة)؟
4. كيف تؤثر السياسة في الأدب (تسييس الأدب)؟

منهجية البحث

اعتمد الباحث في بحثه على المنهجين الآتيين:

1. المنهج الوصفي التحليلي: لوصف آراء أبرز المفكرين والنقاد العالميين الذين كانت لهم نظريات في مفهوم الأدب، وتحليل تلك النظريات والآراء من أجل التوصل إلى نتائج فيما يتعلق بمفهوم الأدب بشكل عام، إلى جانب مصطلحات أخرى ذات علاقة؛ مثل الأدب الملتزم، والأدب التخيلي، وخيانة الأدب، وثنائية الكاتب – القارئ.
2. المنهج التحليلي التاريخي: للقيام باستعراض تاريخي للأعمال الأدبية التي كان لها أثر في السياسة وكيفية تطور العلاقة بين الأدب والسياسة منذ القرن السادس عشر وحتى الآن؛ وذلك للوقوف على ما أحدثه الأدب من تغييرات في المجتمعات.

مصادر جمع المعلومات

اعتمد الباحث في جمع مادّة البحث على مجموعة من الكتب والرسائل العلمية والمقالات الصحفية، إضافة إلى بعض الأعمال الأدبية من روايات ونصوص قصصية ومسرحية لعدد من الأدباء والكتاب. كما اعتمد جزئياً على الشبكة المعلوماتية.

الدراسات السابقة

– في كتابه "ستة كتب عن الجمهورية" الصادر عام 1576 ناقش "جان بودان" (1530– 1596) مختلف النظم السياسية من ملكية وجمهورية وديمقراطية، وشرح باستفاضة مزاياها وعيوبها. وقد ربط في كتابه بين المناخ والجغرافيا من جهة وخصائص الشعوب من جهة أخرى، ورأى أن الناس تتباين أخلاقهم وسلوكياتهم تبعاً لأماكن عيشهم؛ أكان ذلك على الجبال أو في الأودية أو على شواطئ البحار. فأهل الشمال يتميزون بقوة الجسم والنشاط العضلي، بينما يتميز أهل الجنوب بالحساسية والعصبية وحدّة الذهن. أما سكان المنطقة المعتدلة، مثل شعوب البحر المتوسط وفرنسا، فيجمعون بين خصائص أهل الشمال وأهل الجنوب، وهم عمليون أكثر من أهل الجنوب ومفكرون أكثر من أهل الشمال. وعلى هذا الأساس، يجب أن تُحكم شعوب الشمال بالقوة وشعوب الجنوب باللين وشعوب الوسط ما بين هذا وذاك.

– ناقش "مونتسكيو" (1689– 1755) في كتابه "جوهر القوانين" بجرأة كبيرة قوانين العصر الاجتماعية والسياسية والفكرية.

وكان لهذا الكتاب الفلسفي أثره الكبير في المجتمع الفرنسي وأسهم في تنوير المجتمع الفرنسي بشكل خاص والأوروبي بشكل عام وتطهيره من العيوب الفكرية والاجتماعية؛ فقد استفاض في طرح قضايا الفضيلة والمساواة في الحقوق والواجبات وتضامن الجميع وتكافلهم من أجل المصلحة العامة. كما ركز كثيراً على مسألة الحرية التي عدّها أساساً للتعامل مع كل القضايا في سائر مجالات الحياة. ويمكن القول إن نقاشه لهذه المسائل كان رسالة موجهة إلى السلطة السياسية في البلاد لإعطاء الشعب حريته المسلوبة.

– تناول المفكر والفيلسوف الفرنسي الكبير "جان بول سارتر" في كتابه "ما الأدب؟" (ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947) بشكل أساسي مبدأ الالتزام في الأدب؛ أي استخدامه لمواجهة مسائل العصر بمختلف أشكالها: الإنسانية والاجتماعية والسياسية. كما تطرق إلى فكرة الأدب ذي الدلالة وتطويع اللغة لخدمة قضايا المجتمع. وطرح موضوع الأدب ورسالته ودوره في حياة الناس وفي التغيير نحو الأفضل. وأدان أصحاب مذهب "الفن للفن"، معتبراً العمل الأدبي أو الفني الخالص الذي يصب كل تركيزه على نواحي الصياغة والجماليات اللغوية عملاً فارغاً، ورأى أن أولئك قد غفلوا عن العلاقة بين الأدب الذي يكتبونه والمجتمع الذي كُتب له، زاعمين أن ليس في الأدب سوى المتعة الفنية.

ورأى سارتر أن الهروب من الواقع السياسي أو الاجتماعي يمثل خيانة من الأديب لقضيته وتنصلاً منه من مسؤوليته تجاه مجتمعه. ومن ناحية أخرى، تطرق لثنائية الكاتب – القارئ، وأبرز دور القارئ في إخراج العمل الأدبي إلى حيز الوجود. وبيّن أن المطلوب هو أن تلتقي حرية الكاتب بحرية القارئ، لا أن تتم قولبة فكر الكاتب ليتماشى مع الفكر السائد للقراء. كذلك نقد سارتر المذاهب الأدبية غير الملتزمة، معتبراً أن من يدعون إليها يضعون أنفسهم على هامش المجتمع.

– ناقش الكاتب والناقد الإنجليزي الشهير "تيري إيغلتون" في كتابه "نظرية الأدب" (ترجمة ثائر ديب، 1995) العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، واستعرض نشوء الأدب الإنجليزي وتطوره الذي شكل في نظره ارتباطاً بين الأدب والآيديولوجيا التي يعتنقها الناس. وأوضح إيغلتون الفرق بين الأدب "التخيلي" الذي ساد المرحلة الرومانسية والأدب الذي صبغ المرحلة اللاحقة التي كانت مرحلة ثورات وانتهت إلى تشكل الإمبراطورية الرأسمالية الصناعية وانتزاع الطبقة الوسطى للسلطة السياسية من أيدي الكولونياليين والإقطاعيين. ورافق ذلك أن أصبح الأدب أيديولوجيا كاملة بديلة للدّين، وغدا قوة سياسية. ووجد الكتاب الرومانسيون أنفسهم شيئاً فشيئاً على هامش المجتمع، وتم حرمانهم من تبوُّء أي مكانة لائقة ضمن الحركات الاجتماعية التي استطاعت أن تحوّل الرأسمالية الصناعية إلى مجتمع جديد.

وقد أشار إيغلتون إلى أن الأدب أصبح المرشح المناسب من نواحٍ عديدة للمشروع الأيديولوجي الجديد؛ فهو كمسعى ليبرالي وإنساني يمكنه أن يقدم ترياقاً فعالاً ضد التعصب السياسي والتطرف الأيديولوجي. ولأن الأدب يُعنى بالقيم الإنسانية الشاملة وليس بالمآسي التاريخية مثل الحروب الأهلية أو اضطهاد النساء أو تشريد الفلاحين، فقد كان من الممكن الإفادة منه في تحقيق مطالب الشعب الصغيرة من عيش كريم وسيطرة أكبر على حياتهم الخاصة. ويرى إيغلتون أنه في حين يتحمل العلماء والفلاسفة والمنظرون السياسيون أعباء المساعي الخطابية الرتيبة الكئيبة، فإن الأدباء يحتلون مجال الشعور والتجربة الأعلى قيمة وتقديراً.

ومع التهديد الذي واجهته الرأسمالية البريطانية من منافستيها الفتيّتين الألمانية والأمريكية بتقدمهما عليها، برزت الحاجة الملحة إلى الإحساس بالهوية القومية، وهنا سطع نجم الأدب في السياسة. وقد انغمس الأدب بعد ذلك في أدوار مستهجنة أشد خطورة سياسياً واجتماعياً، كالدعاية الحربية.

– في بحث بعنوان: "البعد الثوري في شعر أمل دنقل" نشر في مجلة دراسات/ العلوم الإنسانية والاجتماعية (المجلد 36، العدد 3، 2009)، يدرس الباحث علي مصطفى عشا البعد الثوري في شعر أمل دنقل. ويرى أن العودة إلى الذات تمثل إطاراً فكرياً وفنياً في شعره. فعلى مستوى الفكر، تمثَّل البعد الثوري في العودة إلى كل أشكال الإبداع في التجربة والتراث العربيين؛ أي العودة إلى الذات التاريخية بعد تجاوز رموز الاستبداد والقمع. أما على مستوى الفن، فالبعد الثوري تمثَّل في استدعاء التراث الحي عبر الالتحام بالرموز التاريخية التي مثلت فكرة الخير والحق والعدل والرفض والثورة في التراث العربي (عشا، 2009).

– في كتابه "العقد الاجتماعي" (ترجمة عادل زعيتر، 2013) أشار "جان جاك روسو" إلى أن ذلك العقد إنما هو ميثاق تصالح بين الشعب والسلطة السياسية. فقد انتقد لامبالاة الشعب الفرنسي وقسوته وانحرافه وتطرفه في تسوية بعض الأمور الدينية والسياسية، كما انتقد السلطة السياسية في عنفها وتعصبها وقسوتها في الرد على مطالبة الشعب بحقه في الحياة الكريمة الآمنة.

– في بحث بعنوان: "الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر" نشر في مجلة دراسات/ العلوم الإنسانية والاجتماعية (المجلد 43، العدد 3، 2016)، توضح الباحثة فاطمة حسين العفيف مفهوم السخرية وتناقش ما تنطوي عليه نفسية الشاعر الساخر. كما تبحث في الجانب الآخر لرسالة السخرية؛ ألا وهو المتلقي/ المستجيب للسخرية، من الناحية النفسية أيضاً،

فتتابع ما يمكن أن تثيره فيه السخرية من مشاعر غير مشاعر الضحك والاستهزاء، وتبحث في استعداداته لتلقي ما ترمي إليه السخرية. وقد استعانت الدراسة بنماذج شعرية لثلاثة من أبرز الشعراء العرب المعاصرين، وهم: محمد الماغوط، ومحمود درويش، وأحمد مطر، وهم من أهم الشعراء الذين كان لشعرهم أثر واضح في نفوس المتلقين، ربما ليس لما يحمله ذلك الشعر من قيمة فنية في المقام الأول، وإنما لبراعتهم الفائقة في السخرية (العفيف، 2016).

– كانت تفاصيل محاكمة الشاعر الروسي "جوزيف برودسكي" عام 1964 بتهمة "الكتابة خارج الإطار المرسوم للأدب" و"عدم الانتماء لاتحاد الكُتاب السوفييت" موضوعاً لكتاب بعنوان: "محاكمة برودسكي – أول محاكمة لشاعر" من إعداد الكاتبة الصحافية "فريدا فيغدوروفا" ومجموعة من الشعراء القريبين من "برودسكي" (ترجمة شاكر نوري، 2017). وقد حُكم عليه بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة قضى سنتين منها في السجن، ثم أفرج عنه لينتقل فيما بعد للعيش في الولايات المتحدة بعد أن طردته السلطات السوفييتية من البلاد. والجدير بالذكر أنه مُنح جائزة نوبل للآداب عام 1974.

– في بحث بعنوان : "إشكالية العلاقة بين الخطاب الأدبي والسياسة" نشر في مجلة دراسات/ دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية (المجلد 44، العدد 4، 2017)، ناقش الباحثان فاطمة العمري وحذيفة العزّام العلاقة بين الأدب والسياسة، وأشارا إلى أن العلاقة هي علاقة إشكالية؛ إذ يحاول الأدب– وبخاصة السياسي منه– التأثير في السياسة وتوجيه القرارات التي تتخذها السلطة السياسية على نحوٍ يهدف في الغالب إلى إحداث تغييرات إيجابية في حياة المجتمعات، ويتم ذلك أحياناً بالتصريح وأخرى بالتلميح. أما السلطة السياسية فهي ترصد ما ينشر من أدب سياسي؛ فتقبل ما يوافق أهواءها وتوجهاتها، بينما تسعى إلى تطويع ما يعارض مصالحها ويعرقل مسيرتها، تارة بالترهيب وأخرى بالترغيب (العمري والعزّام، 2017).

المبحث الأول: ما الأدب؟

الأدب وسيلة للتعبير الإنساني عن العواطف والأفكار والمواقف والهواجس بأرقى الصور؛ فهو بفروعه المختلفة يطرح الأسئلة على العالم، ويبحث ويستنكر ويطالب بالتغيير وينادي بالمبادئ ويدعو إلى المثُل فيستثير مشاعر المتلقي. ولعل أهم الأسئلة التي طُرحت في هذا الاتجاه على امتداد القرن العشرين كان السؤال: "ما الأدب؟". لقد تعددت محاولات الإجابة عن هذا السؤال، وحاول الكثيرون وضع أيديهم على جوهر الأدب عبر الإحاطة بعناصره العديدة؛ كالشكل والمضمون والمبدع والمتلقي والعلاقات الاجتماعية والتاريخية والسياسية التي تشكل إطاراً للعملية الأدبية. وقد تنوعت الإجابات التي توصّل إليها المفكرون بفعل انتمائهم إلى اتجاهات أدبية وفلسفية مختلفة. فمع اختلاف منظور التناول، تفاوتت الإجابات، وبذلك لم تتشكل بعدُ أرضية مشتركة تقف عليها مختلف الاتجاهات الأدبية والنقدية بيقينٍ كامل، فظل الموضوع حول "مفهوم الأدب" مفتوحاً لمزيد من الأبحاث والدراسات.

ولعلّ أهم محاولات الإجابة عن سؤال "ما الأدب؟"، هما المحاولتان اللتان قام بهما الفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر، والمفكر والناقد الإنجليزي تيري إيغلتون. وتنبع أهمية ما جاء به سارتر حول الموضوع من أنه كان مفكراً ومنتجاً للأدب في آن معاً؛ فقد أبدع العديد من النصوص القصصية والروائية والمسرحية، فكان بذلك كمن يضع خرائط لجبالٍ تسلقها بالفعل وعرف دروبها وأخطارها عن خبرة ذاتية. وكانت علاقته بمجتمعه والواقع الذي يعيشه المنظور الأساسي الذي انطلق منه للإجابة عن السؤال السابق. ويبدو أثر النظرة الوجودية الماركسية التي يعتنقها سارتر جلياً في حديثه عن مفهوم الأدب، الأمر الذي دفعه إلى تبنّي فكرة " التزام الأدب " بوصفه مُنتَجاً اجتماعياً في الأساس على الرغم من صبغته الفردية. وقد شكلت آراء سارتر فيما يتعلق بمفهوم " الالتزام والحرية " ركناً أساسياً في النقد الآيديولوجي الذي ساد في الخمسينات والستينات من القرن العشرين؛ فلا عجب في أن يكون سارتر نجم تلك الحقبة، في مجال الفلسفة وفي مجال الأدب. و"الأدب الملتزم" وفق رؤيته هو الأدب المرتبط بوعي العصر ومشكلاته المحددة بما فيها القضايا السياسية (مجلة نزوى، 2001).

وعلى الجانب الآخر، نجد تيري إيغلتون، المفكر والناقد الإنجليزي الذي يُعدّ واحداً من ألمع منظري الأدب في الغرب في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد تساءل: "ما الأدب؟" في كتابه " نظرية الأدب " (ترجمة ثائر ديب، 1995، ص9)، لكنه تناول الأدب باعتباره نشاطاً إنسانياً "تخيلياً"، على العكس من سارتر الذي ركز على مبدأي الالتزام والحرية. والجدير بالذكر أن إيغلتون انطلق في رؤيته للأدب من أنه خطاب غير نفعي؛ بمعنى أنه لغة تشير إلى نفسها فقط، مقترباً بذلك من تصورات الشكلانيين الروس عن مفهوم الأدب. وعلى الرغم من بساطة العرض الذي قدمه إيغلتون حول الأدب، فهو يتصف بالعمق؛ فقد حاول أن يجعل الموضوع " شعبياً "، أي في متناول غير المتخصّصين، دون أن يجعله ذلك مبتذلاً، وقد نجح في ذلك.

لقد كانت محاولة سارتر ومحاولة إيغلتون الأبرز من بين محاولات عديدة للإجابة عن سؤال: "ما الأدب؟". ويكتفي بهما الباحث

في هذا المقام، لأنهما كانتا اختزالاً للمحاولات الأخرى، ونظراً لامتداد تأثيرهما منذ أواخر الأربعينات من القرن الماضي وحتى اليوم.

أولاً: الأدب وفْق رؤية سارتر

في كتابه "ما الأدب؟"، أحد أشهر الكتب غير الروائية لسارتر، يبدأ حديثه مبرراً تناوله للموضوع قائلاً: " كتب شاب أحمق يقول عني: إذا كنت تريد أن تلتزم، فماذا تنتظر كي تنضم إلى الحزب الشيوعي؟" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص7). ويضيف: "يقول كاتب كبير التزم في أدبه أحياناً ولم يلتزم في أكثر الأحيان: شر الفنانين أكثرهم التزاماً، وخذوا مثالاً على هؤلاء الرسامين السوفييت" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص7). وكانت قد ظهرت في ذلك الوقت فئة من الكتّاب الذين كانوا ينشدون الخلود، معتقدين أن الالتزام في الأدب يجعل أدبهم موقوتاً؛ يموت بانتهاء المسائل التي اتخذها موضوعاً له. وقد اعتبرت فئة أخرى من الكُتّاب دعوة سارتر إلى الأدب الملتزم دعوة إلى الواقعية الاشتراكية القديمة، وتجديداً في النزعة الشعبية. وكانت النزعة الشعبية قد ظهرت في فرنسا قرابة عام 1929 كمذهب أدبي تناول معتنقوه في أدبهم بُسطاء الناس، ووصفوا في كتاباتهم الشؤون اليومية لحياة صغار الناس، واختاروا أبطال أعمالهم الأدبية من القرويين وسكان الأقاليم، على النقيض ممن عاصرهم من الأدباء الذين تناولوا في أعمالهم الأدبية الشخصيات الباريسية بشكل رئيسي. وكان يغلب على أدب أصحاب النزعة الشعبية جوّ من الحزن؛ فأبطال أعمالهم الأدبية ينتمون إلى فئة تتعرض للظلم ولا تستطيع الخلاص منه. وبسبب هذه الصبغة الحزينة، لم تلق أعمال هؤلاء رواجاً لدى سواد الشعب. ومن أبرز هؤلاء الكُتاب " ليون ليمونييه" و"أوجين دابي" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص8، الهامش رقم 1).

وكان لا بُد لسارتر من أن يتدخل للردّ على ما يلومه عليه "ذوو العقول الدنيا" على حدّ تعبيره. وكان هذا التدخل عام 1947، حين كانت الحياة الثقافية الفرنسية بخاصة والعالمية بعامة تزخر بالسجالات حول الأدب ووظيفته في المجتمع وحول مفاهيم الأدب الملتزم والأدب المقاوم والأدب التقدمي وما إلى ذلك. وأدّى ذلك إلى أن يتناول سارتر في كتابه المذكور فكرة الأدب ذي الدلالة واستخدام اللغة وتطويعها لخدمة قضية من القضايا. وكان سارتر قد أسس هو ورفيقته سيمون دي بوفوار مجلة "الأزمنة الحديثة"، التي كانت منبراً لتدخل الأدب في السياسة وفي أحوال المجتمع ككُلّ. وكانت المحاور الرئيسة الثلاثة التي ركز عليها سارتر في طرحه لموضوع الأدب: ما الكتابة؟ ولماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟

بشأن المحور الأول، يقول سارتر: " المعاني لا تُرسم ولا توضع في ألحان؛ فميدانها هو النثر... البحث عن الحقيقة لا يتم إلا باستخدام اللغة كأداة... النثر طريقة من طرق الفكر، ولحظة من لحظات العمل، ورسالة الكاتب هي الكشف عن المواقف" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص 9). فالكلمات في حدّ ذاتها ليست بأشياء، وإنما هي ذات دلالة على الأشياء. واللغة سلاح في يد الكاتب، والكلمات ليست سوى "مسدّسات عامرة بقذائفها". ويرى سارتر أن علينا أن ندرك أن المهم في الكتابة في المقام الأول هو تحديد موضوعها، وبعد ذلك يأتي تحديد طريقة الحديث عن الموضوع. فمثلما تضع الطبيعة أمام عُلماء الفيزياء والرياضيات مسائل جديدة تدفعهم إلى وضع رموز جديدة أو ابتكارها، فإن الأحداث السياسية والوقائع التاريخية والمطالب المتجددة في المجتمع تدفع الكاتب إلى أن يبحث دائماً عن وسائل فنية جديدة وأساليب لغوية جديدة للدلالة عليها. واللغة هي التي تُطوّع في سبيل الموضوع أو القضية، وليس العكس. وبذلك يُعارض سارتر معتنقي مذهب " الفن للفنّ "، معتبراً الفن الذي يصب تركيزه على الصياغة والجماليات اللغوية والنواحي الوجدانية فناً فارغاً، ومنكِراً على أصحاب هذا المذهب أنهم غفلوا عن العلاقة بين الأدب الذي يكتبونه والمجتمع الذي كُتب له، زاعمين أن الأدب ليس فيه سوى المتعة الفنية.

أما بخصوص المحور الثاني الذي يتعلق بالغرض من الكتابة، فيرى سارتر أن الكتابات الصماء التي لا تحمل دلالة ولا تدعو إلى التغيير في المسيرة السياسية أو الاجتماعية هي أشبه بجثث لا روح ولا حركة فيها. ويقول عن أصحاب هذه الكتابات: "ما أن يدخل أحد منهم مكتبته، ويأخذ من على رفوفها كتاباً ويفتحه، حتى تنبعث منها رائحة عتيقة كأنها منبعثة من سرداب" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص 28).

وكان كُتّاب " الرمزية " أو " الفنّ للفنّ " ينزعون إلى الغوص في أعماق النفس ويلجأون إلى وسائل الإيحاء في أدبهم دون الاهتمام بالجمهور أو واقع المجتمع. ومن هؤلاء الشاعر الفرنسي "باول فاليري" (1871–1945). وعلى النقيض من ذلك، كان هناك كُتّاب لا يعبأون بالتحليل النفسي ولا بتصوير الشخصيات الأدبية بقدر ما كانوا يركزون في أدبهم على تصوير الأحداث من حيث صلتها المعقدة بالمجتمع والقضايا الإنسانية والفكرية. ومن هؤلاء الكاتب الفرنسي "مالرو" المولود سنة 1901، ومن نتاجه الأدبي قصة "الأمل" عام 1937 التي دارت أحداثها حول الحرب الأهلية الإسبانية عام 1936، وقصّه "موقف الإنسان" التي تناولت موضوع الشيوعية في الصين. وكانت أعماله الأدبية قوية الارتباط بالواقع السياسي والاجتماعي للناس، وكان يظهر فيها الأمل

واليأس والغضب رغبة منه في استفزاز القارئ لإحداث التغيير. ومن هنا يمكن اعتباره من معتنقي مذهب الأدب الملتزم الذي دعا إليه سارتر، الذي يرى أن " الكلام عمل" وأن الكاتب بمشروعه الأدبي إنما يكشف سلوكاً أو موقفاً، قاصداً كل القصد إلى تغييره (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص 24). إذاً، فالكتابة وفق رؤية سارتر مسؤولية، والهروب من الواقع السياسي أو الاجتماعي خيانة من الكاتب لقضيته.

وأما المحور الثالث الذي ارتكزت عليه رؤية سارتر للأدب، وهو " لمن نكتب؟"، فيتمثل في ما يسمى ثنائية الكاتب – القارئ. فالحركات الاجتماعية والسياسية والثورات التي قادت إلى التغيير شكّلها مجموع القراء الذين حُفّزوا واستثيروا من كُتّاب عصرهم. والكاتب ليس مطلوباً منه إحداث التغيير أو قلب الأمور، وإن أراد المطالبة بشيء فما عليه إلا الإيحاء بالمهمة التي يدعو إلى القيام بها، وبذلك تكون الكتابة كشفاً لقضايا العالم واقتراحها كمهام يتعين على القارئ أن ينهض بها. وبعبارة أخرى، فإن الكتابة هي " اللجوء إلى وعي الآخر". لذا، فإن الأدب السياسي أو الاجتماعي في حاجة إلى قرّاء مثقفين أحرار الفكر بقدر حاجته إلى أدباء واعين. ولا يقل شأن القارئ لهذا النوع من الأدب عن شأن كاتبه.

ومن وجهة نظر سارتر، فإن الكاتب لا يكتب لنفسه، وإلا كان ذلك فشلاً ذريعاً. ولو كان الكاتب يعيش وحده، لكان في استطاعته أن يكتب ما يحلو له. وفي مخالفة لرؤية " كانْت " الذي يرى أن العمل الأدبي يوجد أولاً ثم يُنظر إليه بعد ذلك، يرى سارتر أن العمل الأدبي لا وجود له إلا حين يُنظر إليه. فكأنما الكاتب صاحب مشروع يلجأ إلى القارئ ليقوم بتحقيقه. وعلى حد تعبير سارتر، تكون القراءة تعاقداً كريماً حراً بين الكاتب والقارئ؛ إذ يثق كل منهما بالآخر ويعتمد عليه ويتطلب منه ما يتطلبه من نفسه (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص 61). وبذلك يتعاون الكاتب والقارئ في إحداث التغيير المنشود عبر تشاركهما النص الأدبي. ويقول سارتر: " إذا قبِل الكاتب أن يصور في إنتاجه الأدبي المظالم، فإنما يكون ذلك في اتجاه لا يتجاوز حدود هذه المظالم بقصد القضاء عليها. أما أنا الذي أقرأ، فإذا أبرزت إلى الوجود عالماً ظالماً، فلا أستطيع إلا أن أجعل نفسي مسؤولاً عنه. وهدف الكاتب مما يكتب هو أن يدفعني إلى خلق ما اكتشفه هو؛ بمعنى أن يجعل مني حَكَماً فيه. فعلى عاتقنا كلنا تقع تبعة هذا العالم" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص65).

ومهما يكن من أمر، فلا يعني منح القارئ مكانة وأهمية لا تقلان عن مكانة الكاتب وأهميته بالنسبة للنص الأدبي أن يصبح هم الكاتب إرضاء الجمهور وإشباع رغباته.

ويرى سارتر أن الكاتب لا يتوجه بإنتاجه الأدبي إلى قارئ عالمي، بل إلى قارئ في وطنٍ خاص في موقف محدد (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص 70). فأهل العصر الواحد والمجتمع الواحد الذين عاشوا الأحداث نفسها، يكون لتلك الأحداث في حلوقهم مذاق واحد، وتجمعهم ذكريات واحدة، وعليهم تبعة واحدة. وعندئذ لا حاجة إلى الإطالة في الكتابة؛ فثمة كلمات هي مفاتيح. يقول سارتر: " لو أني قصصت الاحتلال الألماني على جمهور أمريكي، لاحتجت إلى كثير من التحليل والعديد من الصفحات، لكني لو كتبت في الموضوع نفسه للفرنسيين لكفتني بضع كلمات" (سارتر، ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، 1947، ص 73). ومن هنا يمكن القول إن الأعمال الأدبية تحتوي على صورة القارئ الذي كتبت له.

إن مفهوم الالتزام قد وجد تفسيره الدقيق في الأدب والفن على الرغم من أنه ليس مفهوماً أدبياً خالصاً. ويكمن معنى الالتزام في الفعل وتحمل المسؤولية. لقد أقام الماركسيون مفهوم الالتزام على أساس نظرية الانعكاس؛ إذ يعكس الأديب أو الفنان الوضع الاجتماعي القائم والعلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع. فالأدب والفن يشكلان جزءاً من البنية الفوقية للمجتمع التي تعكس بنيته التحتية. إلا أن التقديرات اختلفت بين أن يكون الأديب أو الفنان ملتزماً بالخط الحزبي، أو يكون مع التحرر الإنساني العام، أو يكون في موقف وسط بين هذا وذاك. وفي هذه النقطة، يقترب سارتر كثيراً من النظرة الماركسية، وبخاصة من حيث توسيع مفهوم الالتزام بحيث يشمل التحرر الإنساني بشكل عام. ويقول ر.م. ألبيريس في كتابه عن سارتر: إن الالتزام الذي يتحدث عنه سارتر ليس هو أبداً في آخر الأمر التزام الحزب الشيوعي؛ فالحزب الشيوعي يفترض الدخول في منظمة، وقبول خط السير العام. أما الالتزام لدى سارتر فيقوم ببساطة على أن يكون للمرء رأي في الأحداث السياسية والاجتماعية، وأن يصرّح بهذا الرأي، مع احتفاظه لنفسه بحريته الفردية (ألبيريس، 1964، ص 153). وفي هذه النقطة، يتفق سارتر مع "مايا كوفسكي" الذي يرى أنه ليس من الضروري الالتزام بمؤسسة اجتماعية أو سياسية معينة، ومع "تروتسكي" و"إرنست فيشر" و"غارودي" الذين رأوا في الكتابة أو الإبداع الفني عملاً يختلف عن السياسة. فالتزام الأديب أو الفنان إنما يصدر عن حرية.

ثانياً: الأدب وفق رؤية إيغلتون

في الفصل الأول من كتابه "مقدمة في نظرية الأدب"، يناقش تيري إيغلتون تعريف الأدب، فيقول إن الأدب يمكن تعريفه على أنه كتابة " تخيلية "؛ أي إنها ليست حقيقية بالمعنى الحرفي للكلمة. ويستدرك إيغلتون قائلاً إن هذا التعريف لا يفي بالغرض؛ فالأدب الإنجليزي في القرن السابع عشر لم يقتصر على أعمال شكسبير ووبستر ومارفيل وميلتون، بل امتد ليطال مقالات فرانسيس بيكون، ومواعظ جون دان، والسيرة الذاتية الروحانية لبنيان، وربما تاريخ الثورة لكلاريندون (إيغلتون، ترجمة ثائر ديب، 1995، ص 9). وقد انطلق إيغلتون في رؤيته للأدب من فكرته التي تقول إن التمييز بين "الواقع" و"الخيال" في الأدب أمر غير ممكن. والسؤال هنا: هل على الأدب أن يعكس الحقائق والوقائع، أم إن عليه أن يرسم صوراً من الخيال؟ وقد رأى إيغلتون أن الأدب إذا اشتمل على الكثير من الكتابة الوقائعية، فإنه عندئذٍ يُقصي قدراً وافراً من التخيل. لقد اقترب إيغلتون في رؤيته للأدب من رؤية الشكلانيين الروس الذين عدّوا الأدب تنظيماً خاصاً للغة، الأمر الذي يجعل للأدب بناه وقوانينه وأدواته النوعية. فالأدب عندهم ليس مركبة لنقل الأفكار ولا انعكاساً للواقع الاجتماعي؛ فهو مكوّن من كلمات، ومن الخطأ أن يُنظر إليه على أنه تعبير عن رأي المؤلف (إيغلتون، ترجمة ثائر ديب، 1995، ص 13).

ووفق إيغلتون، ليس ثمة "جوهر" للأدب، ويُمكن لأي عمل مكتوب أن يُقرأ بعدة صور (إيغلتون، ترجمة ثائر ديب، 1995، ص 14). وهناك من الأعمال المكتوبة ما بدأ بوصفه تاريخاً ثم صنّف بعد ذلك أدباً، وبعض النصوص تولد أدبية بينما تُضفى الأدبية على بعضها الآخر إضفاءً. وعليه، فليس من السهل أن نستخرج في كل ما أُطلق عليه اسم "أدب" مجموعة ثابتة من السمات المتأصلة.

إن المعنى الحديث لكلمة "أدب" لم يتبلور إلا في القرن التاسع عشر، وكان ما حدث آنذاك ارتداداً عن تضييق وصف الأدب بالعمل "الإبداعي" أو "التخيلي"؛ إذ أصبح الأدب أوسع من ذلك بكثير. وفي المرحلة الرومانسية، كان الأدب مُرادفاً فعلياً لما هو تخيلي، وكانت الكتابة عما ليس موجوداً أكثر قيمة وإثارة للنفس. غير أن المرحلة التالية كانت مرحلة ثورات؛ ففي أمريكا وفرنسا، أطاح التمرد المسلح للطبقة الوسطى بأنظمة الحكم الكولونيالية والإقطاعية، في حين أصبحت إنجلترا الإمبراطورية الرأسمالية الصناعية في العالم بفضل ما جنته من أرباح طائلة من تجارة العبيد. وسرعان ما أضحت النفعية المادية هي الأيديولوجيا المهيمنة، ونُبذ الأدب والفن باعتبارهما زخرفاً لا ربح فيه، واقتلعت القواعد الصارمة التي انتهجتها الرأسمالية الصناعية المبكرة كل الجماعات من جذورها وحولت الحياة البشرية إلى عبودية مأجورة. وحين ردت الطبقة العاملة بالاحتجاج، ارتكبت الدولة في حقها القمع الشديد الذي حوّل إنجلترا إلى دولة بوليسية بامتياز.

وعلى حد تعبير إيغلتون، فإن السلطة الحاكمة "أصبحت تتحسس مسدسها لدى سماعها النصوص الأدبية" (إيغلتون، ترجمة ثائر ديب، 1995، ص 42). وبذلك أصبح الأدب أيديولوجيا بديلة وقوة سياسية. وشيئاً فشيئاً، وجد الكُتاب الرومانسيون المتمسكون بالخيال البحت أنفسهم على هامش المجتمع وحرموا من تبوّء أي مكانة لائقة ضمن الحركات الاجتماعية التي استطاعت أن تحوّل الرأسمالية الصناعية إلى مجتمع جديد.

لقد أوضح إيغلتون في كتابه أن "الأدب" والأيديولوجيا" شيئان منفصلان في نظر البعض، ومتصلان في نظر البعض الآخر، ورجّح كفة الفئة الأخيرة بقوله: "إن الأدب أيديولوجيا، وتربطه أمتن العلاقات بالسلطة والمجتمع" (إيغلتون، ترجمة ثائر ديب، 1995، ص 46).

ويرجع إيغلتون تعاظم الدراسات حول الأدب في أواخر القرن التاسع عشر إلى "إخفاق الدين"؛ ففي أواسط المرحلة الفكتورية، وقع الدين الذي كان يعد شكلاً من أشكال الآيديولوجيا في حرج عميق. فلم يعُد يستحوذ على أفئدة الناس وعقولهم، وغدت هيمنته تواجه خطر التلاشي في ظل الاكتشافات العلمية والتحولات الاجتماعية. وكان الخطاب الأيديولوجي البديل الذي اجتاح الساحة هو الأدب. وحين كفّ الدين بصورة متنامية عن توفير "الإسمنت" الاجتماعي والقيم الوجدانية والأساطير التي يمكن أن تحقق الالتحام في مجتمع طبقي مضطرب، اتجهت الأنظار نحو "الأدب" كي يحمل هذا العبء الأيديولوجي. ويرى إيغلتون أن الأدب مناسب تماماً لإنجاز المهمة الآيديولوجية التي أقلع عنها الدين.

إن الأدب كمبحث أكاديمي لم يتمأسس أولاً في الجامعات، وإنما في مجامع العمل وجلسات الجماهير. وبعبارة أخرى، كان الأدب طريقة لتقديم تعليم ليبرالي بثمن بخس للإنسان الفقير (غوسمان، 1877، ص 341–342). وسار نشوء الأدب كأيديولوجيا في إنجلترا متوازياً مع دخول النساء التدريجي إلى مؤسسات التعليم العالي، وهو ما كان منكراً عليهن من قبل. ونظراً لاعتناء الأدب بالمشاعر الرقيقة، فقد بدا ملائماً للنساء اللواتي كنّ على أي حال مقصيات عن العلوم والمهن. واستمر الحال على هذا النحو إلى أن أصدر أول أستاذ للأدب في أكسفورد السير وولتر رالي كتاباتٍ خلال السنوات المفضية إلى الحرب العالمية الأولى جعلت الأدب ينغمس في أدوار أشد خطورة سياسياً واجتماعياً كالدعاية الحربية (إيغلتون، ترجمة ثائر ديب، 1995، ص58).

ثالثاً: الأدب السياسي

بعد استعراض رؤية كل من سارتر وإيغلتون حول الأدب وغايته وارتباطه بالمجتمع، يمكن القول إن الأدب السياسي هو التاريخ الحقيقي للأمم والشعوب، المستمد من تجارب حية، والذي خُطت سطوره بآلام أبناء الوطن من أصحاب الأقلام والمواقف، لا بأيدي المؤرخين الذين قد يستمدون مادتهم من الوثائق الرسمية التي لا تخلو من التحريف والتضليل (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة؛ بتصرّف). والأدب السياسي هو ذلك الأدب القادر على إحداث التغيير؛ فهو يحكي واقع الناس والمجتمع، ويستنكر الإقصاء والظلم والتهميش. إنه يطوّع اللغة في خدمة القضية فيحرك مشاعر الجماهير وينقلها إلى حيز الوجود عبر ردود أفعالها على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشونها. وهذا ما يجعل علاقة الأديب السياسي بالسلطة علاقة متوترة ومشحونة.

وعليه، فإن الأدب السياسي يولد في الغالب في المجتمعات المحتقنة غير الراضية عن أداء سلطتها السياسية. والأدباء السياسيون هم غالباً أبناء الطبقة الوسطى القريبون من جميع فئات مجتمعهم والقادرون في الوقت ذاته على التعبير عن هموم الناس بصورة أدبية تتميز بالعمق والزخم.

إن الأدب السياسي وسيلة للتعبير السياسي وصرخة اعتراض وطريقة لوصف الصراع الذي يعيشه المجتمع مع السلطة السياسية المستبدة ونظرة كل منهما إلى الآخر. وهو إلى جانب ذلك محاولة للتأريخ للأحداث والوقائع السياسية، وتجربة للتغيير نحو الأفضل. باختصار؛ الأدب السياسي ثورة كامنة يسوسها القلم.

في المبحث الثاني من هذه الدراسة، يحاول الباحث توضيح مفهوم الأدب السياسي بشيء من التفصيل عبر سبر أغوار العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة.

المبحث الثاني: العلاقة بين الأدب والسياسة

في ضوء جدلية العلاقة بين الأدب والسياسة، يمكن القول إن الأدب سلاح ذو حدين؛ فقد تشهره الجماهير في وجه السياسة والسياسيين، وقد يستخدمه السياسيون مدخلاً للولوج إلى ضمائر الشعوب أو يستغلونه لخدمة مصالحهم وترسيخ بقائهم. وتكمن المفارقة في العلاقة بين الأدب والسياسة في النتيجة التي قد يفضي إليها صراع السياسة والأدب. فإما أن ينتصر أصحاب القلم على السلطة السياسية المستبدة، الأمر الذي يؤدي إلى تهذيبها وإخضاعها بفعل ثبات الكتّاب على مواقفهم؛ وإما أن يخضع الأدباء للسياسة فيتم تجيير أقلامهم لخدمة أصحاب السلطة السياسية، الذين يمارسون على الكُتّاب مختلف صنوف الترغيب والترهيب. وقد عبّر الباحث عن النتيجتين السابقتين بِـ "تأديب السياسة" و"تسييس الأدب".

يستلهم كثيرون من الأدباء أعمالهم الأدبية من وحي الأوضاع السياسية السائدة، ولطالما كانت السياسة حاضرة في الأعمال الإبداعية الأدبية والفنية. فمنذ القِدم، كان لكل قبيلة شاعرها أو خطيبها الذي يهجو أعداءها ويُفاخر بانتصاراتها ويخفف من وطأة هزائمها.

ويقول الأديب الألماني الشهير برتولد بريخت: "لا يمكن للسلطة السياسية أن تستولي على الأعمال الإبداعية كما تستولي على المصانع، ولا يمكن لها الاستيلاء على أشكال التعبير الأدبي مثلما يتم الاستيلاء على الرُّخص والتصاريح" (حسن، 2014). وفي هذا القول إيحاء بأن الأدب إنما يستمد سلطته من صعوبة السيطرة عليه. والأدب، في النهاية، نوع من الخطاب الذي يُنازع خطاب السلطة. ويمكن القول إن الأدب يستقي سلطته من "سلطة المثقف". فالأديب شخص مثقف له موقف من السلطة ويحاول أن يمارس دوره في المجتمع الذي يعيش فيه. وهو بقدر ما يكون جاداً في ممارسة هذا الدور، وبقدر ما ينحاز للقيم النبيلة ويسعى إلى تحقيق الأفضل لمجتمعه، يصنع سلطته الخاصة. وسلطة المثقف ليست سلطة مادية، بل سلطة رمزية تمارس عبر الكلام والكتابة، وهي تمارس على النفوس والعقول عبر المنتج الأدبي أو الفني. وعندما يعي المثقف حقيقة دوره الاجتماعي ويحرص على تأديته على أكمل وجه، فإن اصطدامه بالسلطة يصبح وارداً إلى حدّ كبير. ومن المفترض أن يصوّب المثقفون أهدافهم إلى أبعد مرمى يرونه، ويطالبوا أصحاب السلطة بالوصول معهم إلى تلك النقطة؛ فإذا ما حدث ذلك بالفعل، يكون المثقفون قد رابطوا عند نقطة أبعد ليطالبوا أصحاب السلطة مجدداً بأن يتبعوهم، وهكذا في رحلة لا تنتهي بحثاً عن وضع أفضل للمجتمع.

ويرى الماركسيون الجدد أن انغماس المثقف في البناء العلوي للدولة، يُفقده استقلاله؛ فلا يعود عضواً في الطبقة الوسطى، بل مجرد أجير ينتمي للبروليتاريا. وحين يتمكن السياسي من تدجين الأديب، يوجَد ما يسمى "أدب السلطة"، ويتحول الأديب إلى بوق إعلامي ويفقد هامش حريته (حسن، 2014).

أولاً: تأديب السياسة

في ردّه على تساؤل مفاده: لماذا كان الإبداع الأدبي في ستينات القرن الماضي أشد غزارة منه في سبعينات ذلك القرن، على الرغم من أن هامش الحرية في السبعينات كان أوسع منه في الستينات؟، يقول نجيب محفوظ: "لقد كان المبدعون في السبعينات أحراراً، وهو ما جنى على الجانب الإبداعي لديهم؛ فلم تكن أمامهم تحديات كتلك التي وُجدت في الستينات وقادت إلى إنجاز الأعمال الإبداعية بما فيها من رموز وإسقاطات للتعبير عما يريدونه" (حسن، 2016). وتدحض تلك الإجابة المقولة السائدة التي تجعل من الحرية السياسية شرطاً للإبداع الأدبي. والأدب في ظل غياب الحرية السياسية إنما هو نوع من المقاومة بالحيلة ومجال للتنفيس عما يكنّه الأديب في نفسه تجاه السلطة ولا يستطيع الإفصاح عنه خوفاً من المساءلة.

وتتراوح الحيلة التي يتبعها الأدباء للتأثير في السياسة بين النقد اللاذع والنصح المبطن. ففي المكتبة الوطنية في باريس، مخطوطة مجهولة المؤلف تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي وتحمل العنوان: "رقائق الحلل في دقائق الحيل"، سلك صاحبها درب الحكاية والقصة وسيلة لتعليم الحكام فنون الحكم والإدارة، وقسّم حكاياته إلى حِيل الملائكة والأنبياء وأدعياء النبوة والملوك والسلاطين والوزراء والقضاة والفقهاء والعُبّاد والزُّهاد، محذّراً بها الحكام من مغبة الظلم والاستبداد، ومبصّراً إياهم بالفوائد العظيمة التي تترتب على حكمهم بالعدل (حسن، 2012).

لكنّ الأدب لا يمكن أن يقتصر على التحايل والإيحاء غير المباشر في مواجهته مع السلطة؛ فلطالما كان الأدب مواجهة مباشرة مفتوحة بين المثقف والسلطة. فقد لعب الأدب دوراً بارزاً في تقويض أركان النظم الشيوعية في أوروبا الشرقية؛ فكان الأدب في صميم مسببات الثورة التدريجية التي شهدتها المجر عامي 1989 و1990 وقادتها إلى أول انتخابات حرّة، وشكل الأدباء عاملاً من عوامل الثورة على نظام حُكم تشاوشيسكو القمعي. وقادت رواية "كوخ العم توم" للكاتبة الروائية الأمريكية هارييت بيتشر إلى إذكاء شرارة الحرب الأهلية في الولايات المتحدة، لأنها سلطت الأنظار على معاناة السود في أمريكا.

وفي عالمنا العربي، قاوم شعراء مثل أمل دنقل ومظفّر النواب وأحمد مطر...، السلطة المستبدة بقصائد مباشرة. وعندما سُئل توفيق الحكيم: لماذا تكتب؟ كان جوابه: "لأن الفنان لا بد من أن تكون له وجهة نظر في الحياة؛ فالفنان ليس مجرد متفرج، بل هو صانع لمجتمعه" (عاشور، ص173).

في هذا المبحث، يوضح الباحث مفهوم "تأديب السياسة" عبر تجربتين رائدتين هما: التجربة الفرنسية، وتجربة أمريكا اللاتينية.

(أ): دور الأدب الفرنسي في التأثير في تفكير المجتمع الفرنسي وأخلاقه

إنّ انتشار الثقافة والمعرفة ضروري لتقدم المجتمعات. وقد تأثر الفرنسيون بكتابات أدبائهم وأدباء الدول المجاورة. فعلى الرغم من القيود الصارمة التي كانت مفروضة على الكتابة والخطابات، بدأ أحد مؤيدي الألماني البروتستانتي مارتن لوثر نوعاً جديداً من أنواع نشر الثقافات والآراء بتعليقه أحد نصوص لوثر المعادية للكنيسة على جدران باريس، مما حدا بالملك فرانسوا الأول إلى إعلان الحرب على اللوثريين. ولم يكن من السهل تقبُّل التغيير في تفكير المجتمع الفرنسي وسلوكياته في القرن الخامس عشر، فقوبلت أفكار لوثر بالرفض، شأنها في ذلك شأن أفكار كوبرنيك المتعلقة بدوران الأرض والكواكب حول الشمس عام 1435 (غزو، 2014).

وبظهور المطبعة ونشوء جامعة باريس، تغيرت أفكار الأدباء والمفكرين ونقاشاتهم فيما يرتبط بالمفاهيم الدينية والعقلية والسياسية، وأدى توق فرنسا للحرية إلى جانب اهتزاز ثقة الشعب بالملك والكنيسة على حدّ سواء إلى إيجاد المناخ المناسب للمطالبة بحرية التعبير. وكان لأدب القرن السادس عشر ذي الطابع الاجتماعي الممثل بالإنسانيين أثر واضح في تغيير سلوكيات المجتمع الفرنسي. وكان فكر هؤلاء يقوم على فكرة أن الناس مع السلام والأمن والحرية يمكنهم تذوق الأمور العقلانية على نحو أفضل من أجل بناء مجتمع سليم ومتنور على أساس الحرية. وبشكل موازٍ، هذب الشعراء مثل "ماليرب" والنقاد مثل "أوبنياك" والأخلاقيون مثل "بلزاك" ومؤيدو المؤسسية مثل الأكاديمية الفرنسية، الأخلاق عبر أعمالهم الأدبية وكتاباتهم (غزو، 2014).

وانضم كُتّاب القرن السابع عشر، أمثال "بوالو" و"بوسويه" و"موليير"، الذين تخرجوا من المدارس الأخلاقية التي تعلموا فيها الأدب التهذيبي، إلى الصالونات الأدبية، ونالوا قسطاً وافراً من الأدب الاجتماعي الأخلاقي، الذي هذب الأخلاق عبر تركيزه على المشاعر الإنسانية بلغة رقيقة كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى النساء ومُرهفي الحس؛ فبدأ الأدب يكتسب حريته ويستقطب جمهوره من عامة الشعب. وركزت الأعمال الأدبية في تلك الحقبة على "الرجل الشريف"، الذي تم إبراز بطولاته وكرمه وشجاعته، وهذا ما دعا كثيرين من الناس إلى التشبه به. وكان للكتابات التي ظهرت في القرن السابع عشر أثرها في تغيير الفكر والأخلاق في أوروبا؛ ذلك الأثر الذي امتد لاحقاً ليؤثر في فكر الإنسان العربي. فقد نادى قاسم أمين بتحرير المرأة، ودعا طهطاوي إلى التأثر الإيجابي بالغرب،

واستفاض الكتاب اللبنانيون في لبنان والمهجر في مناقشة مسألة الحرية.

وكان للحرية التي انتزعها الكتاب الفرنسيون من السلطة السياسية في القرن الثامن عشر، أمثال "روسو" و"مونتسكيو" و"فولتير"، أعظم الأثر في قيام الثورة الفرنسية. فتحدّث فولتير عن الحروب الدينية التي عدّها دليلاً على التعصب الديني وذات أثر سلبي كبير في المجتمع الدولي، وانتقد مشاعر العداء الإنساني وأشار إلى أن العلاقات الإنسانية يجب أن تسودها الرحمة وتفهُّم وجهات النظر (Voltaire, 1797). وفي خطاب تمهيدي، أعلن أنه كتب تاريخ شارل الثاني عشر ملك السويد ليروي السيرة الرائعة لحياة هذا الملك، على أمل أن يشفى بعض الملوك والأمراء من جنون الغزو. كذلك فقد اتّهم قادة الحروب الصليبية بجنون العظمة وحُب الذات الذي أدى إلى قتل الأبرياء وإفلاس الدول المعتدية والدول المعتدى عليها على السواء (Voltaire, 1989). ولم يغفل في بحثٍ له عن التسامح عن الحديث عن تعصب الشعب والسلطة وتعسف هذه الأخيرة في تعاملها مع شعبها ومع غيره. وفي مسرحية "البخيل"، يتحدث موليير عن نُبل الأخلاق وعن أهمية الشباب في المجتمع؛ فهو يذم البخل والبخلاء ويدعو إلى إنفاق المال في مشاريع تعود بالفائدة على المواطن والمجتمع. وكان "برناردان دي سان بيير" يحلم كثيراً بمجتمع مثالي، فبحث عنه في الحب والطبيعة. ففي قصته بعنوان: "بول وفيرجيني" كتب عن قصة حب رائعة تدور أحداثها في مجتمع رعوي ريفي ذي بيئة استوائية غريبة؛ محاورها الأساسية: المحبة والتعاون والوفاء.

وقد أصدرت الحكومة الملكية قانوناً للرقابة على المطبوعات، يقضي بإيقاع عقوبة الإعدام بحق كل من ينشر أو يطبع أو يروّج لأعمال أدبية تهاجم الدين أو تلعب بالعقول أو تزعزع النظام أو تقلق راحة البلد، وذلك في 16 نيسان عام 1757. فكان أن ظهر نتيجة لذلك ما سمي الأدب السري الذي كان يُطبع خارج البلاد: في بريطانيا وهولندا وسويسرا، وكذلك في فرنسا نفسها. وكان الناس يبحثون عن هذا الأدب بشتى الطرق لأنه كان "الفاكهة المحرّمة". وفي أعقاب الثورة الفرنسية، ارتفع سقف الحرية، وكان للصحافة دورها البارز في توعية الناس ولفت أنظارهم إلى حقوقهم المسلوبة. وفي 29 أيلول عام 1824، ألغى الملك شارل العاشر قانون الرقابة على المطبوعات. إلا أن الإفراج عن الحرية لم يدم سوى عامين؛ فلم يكن بعدئذ يسمح للصحف بالظهور إلا بعد فحصها من لجنة الرقابة.

أما روسو فقد جعل من كتابه "العقد الاجتماعي" ميثاق تصالح بين الشعب والسلطة السياسية. وقد انتقد لامبالاة الشعب الفرنسي وقسوته وانحرافه وتطرفه في تسوية بعض الأمور الدينية والسياسية، كما انتقد السلطة السياسية في عُنفها وتعصبها وقسوتها في الرد على مطالبة الشعب بحقه في الحياة الكريمة الآمنة.

من ناحية أخرى، لعب الفلاسفة الوجوديون، وعلى رأسهم جان بول سارتر، دوراً كبيراً في نشر بذور الحرية وتشجيع الإبداع؛ فكان أدبه يدعو إلى التمرد والفحص الحر وتحرير الروح وحرية الاختيار.

لقد كان التعليم في فرنسا خاضعاً لسلطة الكنيسة والدولة. وبعد الثورة الفرنسية، وخصوصاً بعد الجمهورية الثالثة، بدأ الطلبة وأولياء الأمور بالتململ والامتعاض من أساليب التعليم القديمة والتقليدية التي حرمتهم من المعرفة والإبداع في كثير من المجالات، وطالب الشعب بتحرير التعليم، وتمت علمنة التعليم في مطلع القرن العشرين. ويرجع الفضل في ذلك إلى المفكرين والأدباء الذين حرّضوا الطلبة على الثورة ودافعوا عن حقوقهم. ومع ذلك، لم يحظَ التعليم بالحرية المطلقة إلا بعد "قانون دبري" الذي أعلن عنه عام 1959، فرُفض في البداية، ولم يؤخذ به إلا بعد الاحتجاجات العنيفة التي جابت شوارع باريس عام 1984 وصدور موافقة الدولة على الدعم المالي للمؤسسات التعليمية عام 1992؛ إذ سمح بالتعليم الحر والخاص.

على صعيد آخر، كان للصحافة، التي هي ثمرة من ثمار الحرية، دور بارز في تغيير المجتمعات وتوعية الناس بحقهم في المعرفة وإبداء الرأي. وقد كان الكثيرون من أصحاب السلطة – ولا يزالون – يتخوفون من الصحافة التي هي عين الشعب على السلطة. وكان نابليون يقول إنه لو أرخى اللجام للصحافة، لما بقي في السلطة ثلاثة شهور.

ويمكن القول إن أثر أصحاب القلم كان جلياً في السياسة. ونتيجة لاختلاف آرائهم وأفكارهم، ولدت التيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وتغيرت أنماط سلوك المجتمع، وخضعت السلطة لإرادة الشعب.

(ب): دور الأدب الأمريكي اللاتيني في تصوير قسوة الاستعمار وإحداث التغيير

لدى قراءة التاريخ الأدبي لأمريكا اللاتينية، يتبين أن تنوع الممارسة الأدبية عند الكُتاب إنما فرضته الظروف التاريخية لبلدانها، وتحديداً الاستعماران الإسباني والبرتغالي. وثمة أعمال أدبية كثيرة تناولت فترة الاستعمار؛ ففي كتاب بعنوان: "تدمير الأنديز: وصف موجز"، انتقد الدومينيكاني "بارتولومي دي لاس كازاس" المعاملة الوحشية التي لقيها الهنود على أيدي الأوروبيين. وأبدع الشاعر

"ألونسو دي أرسيلا واي زونيجا" قصيدته الشهيرة "لا أروكانا" في وصف شجاعة الهنود التشيليين الذين قاوموا ببسالة المستعمرين الإسبان (نبيل، 2014).

في النصف الثاني من القرن السابع عشر، ساد أدب الباروك الذي يمزج بين السخرية والفكاهة والتعبير الأدبي. وأصل مسمى الباروك اصطلاح مستعمل في فن العمارة والتصوير، معناه: شكل غريب، غير متناسق، معوج. وينزع فن الباروك نحو إظهار الحيوية والحركة وجَيشان العاطفة على النقيض من الاتجاه الكلاسيكي.

وليس من الغريب أن يكون أدب الباروك الذي حاكى هذا النوع من فن العمارة واستمد اسمه منه، أدباً معقداً، يعج بالتفاصيل والأحداث، ومليئاً بالتوتر والانفعال والعواطف، وتظهر فيه مشاعر الحزن والإيمان في آنٍ واحد. وهذا كله كان حال أمريكا اللاتينية في فترة الاستعمار (شاهين، 2015).

في بداية القرن التاسع عشر، قاد العداء للقوى الاستعمارية إلى "حروب الاستقلال"، وألهمت الحروب الشعراء والأدباء فنظموا القصائد وكتبوا القصص التي انتقدت بشكل لاذع القوى الاستعمارية. ويُقال إن رواية "الببغاء الغاضب" التي صدرت عام 1816 للكاتب "خوزيه خواكين فرناندیز دو لزاردي" أول رواية أمريكية لاتينية، وقد انتقدت الاستعمار الذي كان يجثم على مدينة مكسيكو. أضف إلى ذلك القصيدة الوطنية الشهيرة "أغنية إلى بوليفار" عام 1825.

انتشرت الرومانسية في أمريكا اللاتينية في أواخر القرن الثامن عشر. وفي القرن التاسع عشر، تطور نوع من الرومانسية يسمى الأهلانية، وتفاخر الأهلانيون بالمميزات الإقليمية لبلدانهم؛ فقد عبّر "اصطبان أخيفيريا" عن شغفه بسهول البامبا الأرجنتينية الشاسعة في شعره الغنائي الوطني (مورينو، 1987، ص245). وظهر أدب "الغاوشو"، وهم رعاة بقر رُحّل تم تصويرهم كخارجين على القانون. فقد كتب "خوزيه هيرنانديز" من الأرجنتين ملحمة "مارتن فيرو" التي تتحدث عن معارك أحد أبطال الغاوشو مع الهنود الأمريكيين والمعاملة القاسية التي يلقاها من حكومة متبلدة الأحاسيس (مورينو، 1987، ص 252). وازدهرت الرواية إبان الفترة الرومانسية، وكان "خوزيه مارمول" من الأرجنتين، و"إغناثيو مانيول ألتاميرانو" من المكسيك، من بين الكتّاب الليبراليين الذين كتبوا روايات عارضت انعدام العدالة السياسية. وعدّ الرومانسيون الشعوب غير الأوروبية، مثل الهنود، الأفضل، لأن الحضارة الأوروبية لم تفسدهم. ففي البرازيل، مجّد "أنطونيو جونكالفيز دياز" الهنود في شعره. وكان الهنود هم أبطال رواية "كومندا" للكاتب الإكوادوري "خوان ليون ميرا"، وأبطال القصيدة الملحمية "طباري" للشاعر "خوان زوريلادو سان مارتن" من الأوروغواي (مورينو، 1987، ص 254).

ثم جاءت مرحلة الحداثة التي استمرت من عام 1888 إلى عام 1910. وفيها توجه الأدباء نحو المصادر الغربية مثل الأساطير اليونانية والشرقية والإسكندنافية. وبرز في تلك الفترة الشاعر "روبن داريو" من نيكاراغوا، والشاعر الأرجنتيني "ليوبولدو لوغونيس". وناشد "خوزيه إنريك رودو" في مقالة له بعنوان "إريال" عام 1900 شباب أمريكا اللاتينية أن ينشدوا المثالية والأهداف الروحية العالية التي هددتها المادية الحديثة (قاسم، 2013).

وفي أوائل القرن العشرين، ظهرت في أمريكا اللاتينية مجموعة من الكاتبات المبدعات، وحصلت إحداهن – وهي "جابرييلا ميسترال" من تشيلي – على جائزة نوبل للآداب عام 1945، وكانت بذلك أول كاتبة أمريكية لاتينية تنال هذه الجائزة (مورينو، 1987، ص262). وألهمت الثورة المكسيكية عام 1910 "ماريانو أزويلا" فكتب روايته: "المضطهدون" عام 1916. وتم تصوير المعاملة السيئة التي يتلقاها الهنود في عدد من الروايات، منها رواية "الهندي" عام 1935 للكاتب "غريغوريو لوبيز إي فونتيز" من المكسيك، ورواية "ياوار فيستا" عام 1940 للكاتب "خوسيه ماريا أرغويداس" من البيرو، وغيرهما (مورينو، 1987، ص 270). وقد قدّمت الحركة المعاصرة في أمريكا اللاتينية تياراً أبرز مجموعة من الأسماء اللامعة، أمثال "بارغاس يوسا" و"بورخيس" و"أوكتافيو باث"، و"غابرييل غارثيا ماركيز"، وغيرهم من الكتاب الذين نالوا أرفع الجوائز العالمية، وبخاصة جائزة نوبل وجائزة سرفانتس. وصنفت الكثير من الأعمال الروائية القادمة من أمريكا اللاتينية على أنها ممثلة لتيار الواقعية السحرية، الذي كسر جمود تيار الواقعية في الأدب الأوروبي وأعاد إنتاج تقنيات السرد من وجهة نظر مختلفة، كما أسهم في التعريف بأمريكا اللاتينية، وتاريخها وقضاياها ومشكلاتها (ميرو، 2011). ولا يكاد عمل أدبي مهم من أمريكا اللاتينية يخلو من الأحداث التاريخية والسياسية التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من بنيته، وهو أمر يتصل بالدور الطليعي الذي يرى كُتاب أمريكا اللاتينية أنهم يقومون به من أجل بلدانهم. لقد شكلت السياسة جزءاً من البنية الروائية ذاتها، ويمكن القول إن قدرة الرواية على استقطاب جمهور واسع تعود إلى حدّ كبير إلى ملامستها للقضايا السياسية، دون أن تتحول إلى بيان سياسي أو خطاب آيديولوجي خال من الملامح الفنية.

ثمة واقعان متوازيان ينطلق منهما أدب أمريكا اللاتينية، هما: الواقع الاجتماعي، والواقع السياسي. والجدير بالذكر أن الواقع

الاجتماعي يرصد التغيرات التي مرّت بها المنطقة. ومن أبرز الروايات التي عبرت عن هذا الواقع، رواية "الفردوس على الناصية الأخرى" للكاتب البيروفي "ماريو برجاس يوسا". عنوان هذه الرواية مأخوذ من لعبة أطفال يقف فيها الطفل على دائرة ويقول لأقرانه: هل الفردوس هُنا؟ فيجيبونه: كلا، جرّب مرّه أخرى، فربما كان الفردوس على الناصية الأخرى! أما الفردوس المقصود في الرواية فهو السعادة التي يضيع كل منا حياته بحثاً عنها، ثم قد تكون على الناصية الأخرى (يوسا، 2004).

أما الواقع السياسي، فكان له نصيب الأسد من جملة العوامل المؤثرة في أدب هذه القارّة. فقد أدت الأوضاع السياسية فيها إلى خلق شخصية الديكتاتور المرعب، الذي أفسد الحياة السياسية والاجتماعية، لكنه من ناحية أخرى أثرى الحياة الثقافية والأدبية؛ فظهرت روايات جعلت كُتّابها يضعون أقدارهم بين سطور كتاباتهم ويتعرضون لمضايقات كثيرة ومصائر رهيبة كالنفي والسجن والقتل. والديكتاتور في أدب أمريكا اللاتينية شخص أسطوري خالد لا يمكن تصديق الخلاص منه؛ فحتى إن مات، يظل موته موضع شك. وتبدو هذه الصورة واضحة في رواية ماركيز "خريف البطريرك" (ص32)، حين يصف موت الديكتاتور وكأنه لا يزال في وعيه حتى في أثناء جنازته، وخوف الناس حتى أمام جثته (استورياس، 1985)!

وثمة أدباء كُثر حاربوا الديكتاتور بأقلامهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الكاتب "أرماندو فالادو" الذي اختفى في ظروف غامضة وتم العثور على جثته بعد اثنين وعشرين عاماً قضاها في السجون الكوبية، والشاعر "أليجو باتاجوليس" الذي اشترك في أول محاولة اغتيال ضد "بابا دوبولوس" وحكم عليه بالإعدام وألف الكثير من القصائد في فترة انتظار تنفيذ الحكم (قاسم، 2013). وتجدر الإشارة إلى أن مقاومة السلطة المستبدة امتدت أيضاً إلى النساء، ومن أشهرهن التشيلية "إيزابيل ألندي" التي فرّت من بلادها خوفاً من رجال الطاغية "أجوستينو بينوشيه" وصورت ذلك في روايتها "بيت الأرواح" من خلال أرواح أربع نساء تلاحقها (نبيل، 2014).

ثانياً: تسييس الأدب

شهدت السياسة انفتاحاً على مجالات الحياة الأخرى، وأصبحت متداخلة مع الكثير من سلوكاتنا وعاداتنا اليومية. وامتدت شبكة التفسير السياسي إلى النشاطات الإنسانية كافة، كالإبداع الأدبي والفني، والظواهر الاجتماعية، ومسائل الصحة والتربية... إلى غير ذلك (جان ماري، 1992، ص23– 65). وقد بلغ الأمر بعلماء السياسة البحث عن الجوانب الجيوسياسية في لعبة كرة القدم. ففي كتاب صدر عن أحد مراكز الدراسات الاستراتيجية في فرنسا، أشار الباحثون إلى أن هذه اللعبة صارت إحدى الأدوات الفاعلة في الدبلوماسية الدولية؛ إذ يمكن أن تسهم حسب رأيهم في توحيد شطري كوريا أو دفع عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. كما يمكن أن تكون إحدى وسائل تحقيق الوحدة الوطنية في البلدان متعددة الأعراق واللغات والديانات؛ إذ يلتف الجميع حول المنتخب الوطني، الذي يُنظر إليه على أنه رمز تعلق عليه الأمة بعض آمالها، وبخاصة إذا كان يضمّ تحت لوائه لاعبين ينتمون إلى فئات المجتمع المختلفة (Pascal Boniface, 1998).

والأدب من حيث هو ظاهرة اجتماعية في تماس مع السياسة؛ لا بل هو أقرب إليها من غيره من النشاطات الإنسانية. ويصل الأمر أحياناً إلى درجة يصبح معها الأدب نوعاً من الممارسة السياسية، ويغدو الأديب رجل سياسة، لكن بطريقته وأدواته الخاصة. يقول نجيب محفوظ: "ليس هناك حدث فني، بل حدث سياسي في ثوب فني" (سليمان، 1985، ص82)، إلا أن السياسة في كثير من الأحيان تنتهك الأدب بصورة فجة، فتوظفه لخدمة مصالحها وتحوّله إلى بيان سياسي أو خطاب آيديولوجي.

(أ): التوظيف السياسي للأدب الكلاسيكي في روسيا

عاش فلاديمير إيليتش لينين، زعيم ثورة أكتوبر، في فترة تاريخية كان للأدب الروسي فيها دور كبير في نشر الثقافة السياسية في أوساط المواطنين الروس. وكان من الصعب نشر النصوص السياسية صراحة في ظل النظام القيصري. ويقال إن القيصر نيقولا الأول كان يصرّ على قراءة قصائد "بوشكين"، وهو أعظم شعراء روسيا وكاتب روائي ومسرحي، قبل إرسالها إلى المطبعة. وأثار الكاتب الروائي "نيكولاي جوجول" الجدل في أعماله الروائية، ومنها المسرحية الكوميدية "المفتش العام"، ورواية "النفوس الميتة" التي جسّد فيها أوضاع المجتمع الروسي، وبخاصة نظام "القنانة" الذي كان سائداً في العمالة المتعلقة بالأراضي (الزبيدي، 2017). فكان يُقال عن مالك الأرض إن لديه ألف " قنّ " أو عشرة آلافٍ أو غير ذلك. وعلى الرغم من أن هذه الرواية ألهبت الحماس في جميع أنحاء روسيا، فقد بدأ جوجول يتراجع عن موقفه ويكتب قصصاً عن الفلاحين ذوي الرائحة الكريهة. لذا، فقد نقم عليه الناقد الكبير "فيساريون بيلينسكي" (1811–1848)، الذي انتقد في مقالة له بعنوان: "رسالة إلى جوجول" حكم الأقلية والكنيسة الأرثوذكسية وعارض الرواية الرومانسية ودعا إلى الواقعية. وفي وقت لاحق، أصبح النقاد أكثر شراسة ولم يرضوا عن أعمال عديدة لروائيين وكُتاب مسرحيين.

(ب): لينين وسياسة الأدب

استثمر لينين معرفته بالأدب الكلاسيكي بشكل جيد في تخطيطه لثورة أكتوبر عام 1917، وقطع علاقته مع قادة الاشتراكية الديموقراطية في روسيا، ودعا في مجموعة من أطروحاته إلى قيام ثورة اشتراكية في روسيا. وعندما كان يتعرض للانتقاد من بعض رفاقه المقرّبين، كان يردّ عليهم بمقولة ميفيستوفيليس بطل رواية "فاوست" لغوته: "النظرية رمادية اللون يا صديقي، ولكن شجرة الحياة خضراء إلى الأبد". وكان لينين كثيراً ما يلعب على وتر الأدب، إدراكاً منه لتأثيره الكبير في عواطف الناس في روسيا، فكان يهاجم خصومه عن طريق مقارنتهم بشخصيات غير محبوبة وأحياناً هامشية استمدّها من الأدب الروسي. وكان "تولستوي" (1828–1910) من عمالقة الروائيين الروس، وكان مصلحاً اجتماعياً وداعية سلام ومفكراً أخلاقياً، ومن أشهر أعماله رواية "الحرب والسلام" ورواية "أنا كارنينا"، اللتان تتربعان على قمة الأدب الواقعي ويعطيان صورة واقعية للحياة في روسيا في تلك الحقبة. فما كان من زعيم الثورة البلشفية فلاديمير لينين إلا أن كتب قبل الثورة مجموعة مقالات عن آراء "ليو تولستوي" ودوره المؤثر في الأدب الروسي والعالمي، وعن أثره في تنوير المجتمع الروسي واستنهاضه. وكانت تلك المقالات ذات أهمية سياسية بحتة، وفيها حاول لينين أن يوظف آراء تولستوي وفلسفته ويفسرها لخدمة أهدافه السياسية (هوشيار، 2017).

(ج): علاقة السياسة بالأدب الروسي في عهد بوتين

لقد ثمّن النظام السوفييتي قصائد الشاعر العظيم "ألكساندر بوشكين" (1799–1837) الذي لم يكن على وفاق مع السلطة القيصرية، بسبب تأييده لانتفاضة 14 ديسمبر 1825 التي تحدّت تنصيب القيصر نيقولا الأول؛ مما جعله يعاني النفي والتضييق. ويقال إن السلطة كانت وراء مصرعه في مبارزة خطط لها القصر الإمبراطوري بذكاء للتخلص منه. ومن تلك القصائد ما يقول فيها مناهضاً النظام القيصري: "أيها الحاكم المتغطرس، أكرهك وأكره عرشك" (هوشيار، 2017). أما قصائده الوطنية التي يمجد فيها روسيا القيصرية، مثل قصيدة " إلى المفترين على روسيا"، وقصيدة "رجاء المجد والخير"، فكان النظام السوفييتي يزعم أن الشاعر كتبها تحت ضغط الرقابة القيصرية (هوشيار، 2017).

وفي عهد فلاديمير بوتين، نجد تقييماً مناقضاً تماماً للتقييم السوفييتي للمنجز الشعري لبوشكين؛ إذ يرى النظام الحالي أن قصائد بوشكين الوطنية التي مجّد فيها روسيا العظيمة في الحقبة القيصرية هي إنجازاته الشعرية الحقيقية. أما مناداته بالحرية والعدالة، ودفاعه عن الثوار الديسمبريين وعن المضطهدين في روسيا والعالم، فهي في نظر النظام الحالي من طيش الشباب ومن أخطائه الفظيعة التي "تدم على كتابتها"!.

(8) من ضغوطات السياسة على الأدب: أول محاكمة لشاعر

ذات صباح شتوي، في مدينة لينينغراد قبل نحو 60 عاماً، نهض طفل من مقعده الدراسي وخرج من الصف وهو يعرف أنه لن يعود إليه أبداً. وكان المبرّر الوحيد لتركه الدراسة هو أنه يرى رؤوساً في غرفة الدرس لم يعُد يستطيع تحمُّل رؤيتها. ولم تكن تلك الرؤوس سوى للينين قائد الثورة البلشفية وبعض رموزها، وكانت معلقة على جدران غرفة الدرس (فاروق، 2017). كان ذلك الطفل الشاعر "جوزيف برودسكي"، الذي اعتقلته السلطات السوفييتية عام 1964 بتهمة أنه "يكتب خارج الإطار المرسوم للأدب"! وأضافت السلطات آنذاك أنه لم يكن ينتمي إلى اتحاد الكتاب السوفييت، وكان ذلك اتهاماً مشروعاً، لأن الأدب وقتها كان عليه أن يمر في القنوات الرسمية قبل أن يخرج إلى النور، وإلا اعتُبر منشوراً سرياً (محمود، 2018).

وفي محاكمة تاريخية عبثية، حكم على "برودسكي" بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة وهو في الرابعة والعشرين من عمره (فيغدوروفا، 2017). وبعد سنتين، أي في عام 1966، أُطلق سراحه، وذهب ليعيش في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1972 بعد أن طردته السلطات السوفييتية من البلاد. وفي عام 1974، اختارت الأكاديمية السويدية جوزيف برودسكي لتمنحه جائزة نوبل للآداب. ويقول "إيفيم إيتكند" مبرراً منحه الجائزة وتفضيله على أدباء أكثر منه شهرة وأعمالاً: "لقد أخذت الأكاديمية السويدية قصته الخارجة عن المألوف بعين الاعتبار" (فيغدوروفا، 2017).

واليوم، نجد أنفسنا مضطرين للدفاع عن شاعر فلسطيني اسمه أشرف فيّاض، حكم عليه بالإعدام في السعودية حيث يعيش، ثم خُفف الحكم إلى السجن ثماني سنوات والجلد (800) جلدة، لأنه سخر من الشمس في إحدى قصائده، الأمر الذي اعتُبر تجاوزاً في حق الذات الإلهية! وفي مصر، حكم على الروائي والصحافي أحمد ناجي بالسجن سنة واحدة بسبب رواية له بعنوان "استخدام الحياة"، كتب فيها ألفاظاً خدشت حياء أحد القرّاء مما أصابه بهبوط حادّ (محمود، 2018)!

إن السلطة السياسية دأبت على الدوام – ولا تزال – على تفسير الأدب وفق مصالحها، وسيظل الأدب خاضعاً لتفسيرات السلطة التي تبني معرفتها على الجهل بكل شيء إلا مصالحها والشك بكل شيء إلا ما يوافق أهواءها ويرسخ هيمنتها.

(هـ): نموذج فريد للعلاقة بين الأديب والسلطة السياسية في العالم العربي

لم يكن الأديب اللامع والكاتب الفذ توفيق الحكيم ليتوقع أن يصبح الأب الروحي لثورة يوليو 1952 في مصر. فقد أنزله جمال عبد الناصر هذه المنزلة الرفيعة بعد أن تأثر في شبابه برواية "عودة الروح" التي أصدرها الحكيم عام 1933 وتنبّأ فيها بظهور البطل المنتظر الذي سيبعث الأمة من رقادها؛ يكون من بين أبنائها ويصبح "معبود" جماهيرها (موسوعة المعرفة: توفيق الحكيم).

لذا، منح عبد الناصر توفيق الحكيم قلادة النيل عام 1958، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب لعام 1960 ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى في العام نفسه. وبلغ الأمر بعبد الناصر أن فصل وزير المعارف آنذاك من الوزارة، لأنه طالب بفصل الحكيم من العمل باعتباره موظفاً غير مُنتج (فهيد، 2017).

ولم يكن الحكيم يخفي حبه لعبد الناصر وحسن ظنّه به. يقول: "كانت ثقتي بعبد الناصر تجعلني أُحسن الظن بتصرفاته وألتمس له المبررات. وعندما كان يخالجني بعض الشك أحياناً، وأخشى عليه من الشطط أو الجور، كنت ألجأ إلى إفهامه رأيي عن بُعد وبرفق، وأكتب شيئاً يُفهم منه ما أرمي إليه. فقد خفتُ يوماً أن يجور سيف السلطان في يده على القانون والحرية، فكتبت "السلطان الحائر"، ثم خشيتُ أن يكون غافلاً عما أصاب المجتمع المصري من القلق والتفكك قبيل حرب عام 1967 فيُقدم على مغامرة من المغامرات، فكتبتُ "بنك القلق"، وكلها كتابات مترفقة بعيدة عن العنف والمرارة، لمجرد التنبيه لا الإثارة، وكما علمت، فقد قرأها وفهم ما أقصده منها" (فهيد، 2017).

وفي أثناء تأبين الزعيم بعد وفاته عام 1970، سقط توفيق الحكيم مغشياً عليه، وبعد أن أفاق، قال خطبة طويلة منها: "اعذرني يا جمال، إن القلم يرتعش في يدي. ليس من عادتي أن أكتب والألم يلجم عقلي ويذهل فكري. لن أستطيع الإطالة. لقد دخل الحزن كل بيت تفجعاً عليك، لأن كل بيت فيه قطعة منك، ولأن كل فرد قد وضع من قلبه لبنة في صرح بنائك" (موسوعة المعرفة: توفيق الحكيم).

والصادم أن توفيق الحكيم هاجم عبد الناصر بعد فترة وجيزة من وفاته في كتابه "عودة الوعي" عام 1972، مبيناً مساوءه. ووصف مرحلة التجربة الناصرية التي بدأت عام 1952 وانتهت عام 1970 بالمرحلة التي كان الشعب المصري فيها فاقداً لوعيه، ولم تسمح بظهور رأي في العلن مخالف لرأي الزعيم "المعبود". يقول في كتابه "عودة الوعي": "اعتدنا هذا النوع من الحياة الذي جعلتنا فيه الثورة مجرد أجهزة استقبال. كيف استطاع شخص مثلي أن يرى ذلك ويسمعه وأن لا يتأثر كثيراً بما رأى وسمع ويظل على شعوره الطيب نحو عبد الناصر؟! أهو فقدان الوعي؟! أهي حالة غريبة من التخدير؟!" (موسوعة المعرفة: توفيق الحكيم).

وبعد صدور كتاب "عودة الوعي"، انتُقد الحكيم واتُهم بالجبن لأنه لم يتجرأ على مواجهة عبد الناصر في حياته. ومع بداية حُكم السادات، عاهد توفيق الحكيم نفسه على المواجهة. وفي عام 1972، كتب بيده بيان المثقفين المؤيدين لحركة الطلاب، ووقعه مع عدد من الكتاب أبرزهم نجيب محفوظ. وبعدها ساءت علاقته مع السادات، فقال عنه الأخير: "رجل عجوز استبد به الخرف، يكتب بقلم يقطر بالحقد الأسود. إنها لمحنة أن ينحدر رجل رفعته مصر لمكانته الأدبية إلى مستوى القمة، في أواخر عمره إلى الحضيض!" (موسوعة المعرفة: توفيق الحكيم).

الخاتمـــة

سعت هذه الدراسة إلى توضيح مفهوم الأدب السياسي، واستقصاء العلاقة بين الأدب والسياسة، ودراسة أثر الأدب في السياسة، وأثر السياسة في الأدب. كما ناقشت الدور الذي تُفضي إليه العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة في التنمية الاجتماعية والسياسية للمجتمعات.

ويمكن تلخيص النتائج التي توصلت إليها الدراسة على النحو الآتي:

- عالم الأدب وعالم السياسة ليسا عالمين منفصلين كما يرى البعض. فهناك علاقة متبادلة بين الأدب والسياسة؛ إذ يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به.
- يؤدي الأدب، وبخاصة الأدب الملتزم، إلى التأثير في حياة الناس الاجتماعية والسياسية، ويخفف من وطأة السلطة السياسية على المجتمعات. ويلعب الأدب الملتزم دوراً طليعياً في توعية الأفراد والجماعات بحقوقهم، الأمر الذي من شأنه أن يُحدث التغيير في حياتهم نحو الأفضل.

– الأدب السياسي هو الأدب الذي له علاقة بالقضايا السياسية، وهو إما أن يكون أداة بناءٍ وإما أن يكون أداة هدم في المجتمع. فقد يعارض الأدب السياسي السلطة السياسية ويحاول تعديل سلوكها خدمة لقضايا الناس، وقد يمالئ الأدب السياسي السلطة السياسية ويسير في ركابها فيصبح بوقاً إعلامياً لها، الأمر الذي يكرس سطوتها ويتيح لها تنفيذ برامجها السياسية.

– السلطة السياسية في صراع مستمر مع الأدب والأدباء، لاسيما مع الملتزمين منهم. وهي في سعي دؤوب للتأثير في الأعمال الأدبية التي تتناول القضايا السياسية على وجه الخصوص، وتحاول على الدوام استمالة الأدباء وكسبهم إلى صفها بالترغيب والإغراء بالمال والجاه والمناصب، وتتعامل معهم بالترهيب والعنف والقمع إذا لزم الأمر لترسيخ هيمنتها وضمان استمرارها.

– يُعدّ الأدب السياسي، بالإضافة إلى كونه محرّكاً للجماهير وعاملاً مؤثراً في الأوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمعات، أداة فاعلة للتأريخ للأحداث السياسية البارزة في حياة المجتمعات.

المصادر والمراجع

أبو أحمد، حامد (1993) قراءات في أدب إسبانيا وأمريكا اللاتينية، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

أبو شرار، سناء (2013) علاقة الأدب بالسياسة، القدس العربي، 2013/6/12.

استورياس، ميجيل أنخل (1985) السيد الرئيس، ترجمة ماهر البطوطي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1.

ألبيريس، ر.س.، سارتر والوجودية: دراسة وافية لمفهوم الوجودية لدى سارتر في آثاره الفلسفية والأدبية، دار الآداب.

"المتطفل الاجتماعي على هامش الأدب" (1963) صحيفة لينينغراد المساء، 1963/11/29.

إيغلتون، تيري (1995) نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا.

بالديك، في: كريس (1981) الرسالة الاجتماعية للدراسات الإنجليزية، أطروحة غير منشورة لنيل درجة الدكتوراة في الفلسفة، أكسفورد.

بو طيب، عبد السلام (2016) دافعوا عن وطن بوشكين وتولستوي، نشرة هسبريس، المغرب، 2016/8/28.

جان ماري، داكان (1992) علم السياسة، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1.

جرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

جوجول، نيكولاي، النفوس الميتة، ترجمة: عبد الرحيم بدر، دار رادوغا، موسكو.

حسن، عمار علي (2014) سلطة الأدب وأدب السلطة، الاتحاد، 2014/10/3.

حسن، عمار علي (2012) التغيير الآمن: مسارات المقاومة السلمية من التذمّر إلى الثورة، دار الشروق، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1.

حسن، عمار علي (2016) السلطة السياسية والأدب: أي علاقة بينهما؟، 24: الخبر بين لحظة وضحاها،2016/3/19.

دال، روبرت (1993) التحليل السياسي الحديث، ترجمة: علا أبو زيد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1.

دوستويفسكي (2014) الشياطين، ترجمة: سامي الدروبي، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

روبنسون، هـ.غ. (1860) في استخدام الأدب الكلاسيكي الإنجليزي في العمل التربوي، مجلة ماكملان، ع 11.

روسو، جان جاك (2013) العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الزبيدي، أحمد (2017) تأثير شغف لينين بالأدب الروسي في ثورة أكتوبر، جريدة المدى: تقارير عالمية، العدد 3906، 2017/4/19.

سارتر، جان بول (1965) تقديم الأزمنة الحديثة (ضمن الأدب الملتزم)، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت.

سارتر، جان بول (1947) ما الأدب؟ ترجمة: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

سليمان، نبيل (1985) أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1.

شاهين، محمود (2015) الباروك فن المتناقضات والأهواء، البيان، 2015/6/26.

عاشور، وليد طه، الولع بالكتب والهوس بالقراءة.

عشا، علي مصطفى (2009) البعد الثوري في شعر أمل دنقل، دراسات/ العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 3.

العفيف، فاطمة حسين (2016) الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر: محمد الماغوط، ومحمود درويش، وأحمد مطر نماذج، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، العدد 3.

العمري، فاطمة، والعزام، حذيفة (2017) إشكالية العلاقة بين الخطاب الأدبي والسياسي، دراسات/ العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد 4.

غزو، محمد (2014) تأثير الأدب والحرية في تفكير وأخلاق المجتمع، وكالة عجلون الإخبارية، 2014/8/9.

غوسمان (1877) الأدب والتعليم.

فاروق، أسامة (2017) برودسكي، جريدة المدن، 2017/11/5.

فهيد، أحمد يسري (2017) توفيق الحكيم: أدب السلطة أم سلطة الأدب؟ مجلة إضاءات، 2017/7/26.

فيغدوروفا، فريدا، وآخرون (2017) محاكمة برودسكي – أول محاكمة لشاعر، ترجمة شاكر نوري، دار ومكتبة سطور، بغداد، العراق، ط1.

قاسم، محمود (2013) أدباء ضد الطغاة، الكلمة: مجلة أدبية فكرية شهرية، العدد 324.
كولينز، ج.س. (1891) دراسة في الأدب الإنجليزي، في: بالديك، الرسالة الاجتماعية للدراسات الإنجليزية.
لوثر كينغ الابن، مارتن، عندي حلم، حول خطاب مارتن لوثر كينغ الذي ألقي بتاريخ 1969/8/28.
لينين، فلاديمير (1910) ليو تولستوي كمرآة للثورة الروسية، "سوسيال– ديموقراط"، العدد 18، 1910/11/29.
لينين، فلاديمير (1976) لينين: مختارات، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو.
ماركيز، غابرييل (1982) خريف البطريرك، ترجمة: محمد علي اليوسفي، مكتبة نوبل.
مجلة نزوى (2001) ما الأدب؟ بين سارتر وإيغلتون، www.nizwa.com، 1/10/2001.
محمود، إيهاب (2018) محاكمة برودسكي: الأدب أسيراً لتفسيرات السلطة السياسية، ضفة ثالثة: منبر ثقافي عربي، 2018/1/28.
موردخ، إيريس، سارتر المفكر العقلي الرومانسي، ترجمة شاكر النابلسي، دار المفكر، القاهرة، جمهورية مصر العربية,
مورينو، سيزار فرنانديث (1987) أدب أمريكا اللاتينية: قضايا ومشكلات، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
موسوعة المعرفة: توفيق الحكيم.
ميرو، حسام (2011) الرواية في أمريكا اللاتينية، ملحق الخليج الثقافي، 2011/11/19.
نبيل، محمد (2014) نظرة في أدب أمريكا اللاتينية، الكتابة، 2014/2/23.
هوشيار، جودت (2017) الأدب الكلاسيكي الروسي والسياسة، رأي اليوم: صحيفة عربية مستقلة، 2017/11/18.
هوشيار، جودت (2017) التوظيف السياسي للأدب الكلاسيكي في روسيا، قاب قوسين، 2017/11/20.
يوسا، ماريو برجاس (2004) الفردوس على الناصية الأخرى، ترجمة: صالح علماني/، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1.
Adreth, Max, What Is the “Littérature Engagéé”?.
Bodin, Jean, The Republic, Translated by: M.J. Tooley, Alden Press, Oxford, U.K.
Licensing Act (1695) University of Birmingham Library, Journal of the House of Commons, vol. 11, P. 305-306.
Montesquieu, L’Esprit des Lois (The Spirit of the Laws), Translated by: Charles de Secondat, Baron de.
Pascal Boniface (1998) Geopolitique du Football, Translated by Ammar Ali Hasan, Bruxelle.
Ripley, Randall B. (1987) Policy Analysis in Political Science, Nelson-Hall, Inc. Publishers, Chicago, 2nd Edn.
Standhal (1926) Le Rouge et le Noir (The Red and the Black), Translated by: C.K. Scott-Moncrief.
Voltaire (1797) La Henriade, Translated by: Lady Charleville, Burton and Co., London.
Voltaire (1989) The Complete Works of Voltaire, Theodore Besterman, Institut et Musée Voltaire, vol. 14.
Voltaire, Essai sur les Moeurs, Voltaire Foundation’s Blog, Karen Chidwick, Oxford.

The Mutual Relationship between Literature and Politics

Roa'a Haidar Al-Momani *

ABSTRACT

This research paper aims at clarifying the concept of political literature in light of the mutual relationship between literature and politics. It consists of an introduction, two themes and a conclusion. In the introduction, the researcher discusses two points of view pertinent to the investigated relationship. The first one states that literature and politics are two separate worlds that have nothing to do with each other, while the second confirms the existence of a strong relationship between literature and politics. In the first theme, the researcher attempts to explain the concept of literature, relying on the visions of the French existential philosopher Jan Paul Sartre and the English thinker and critic Terry Eagleton, who had essential contributions in trying to answer the question: "What is literature?". In the second theme, the researcher clarifies the concept of political literature in two axes; "literarization of politics" which discusses the impact of literature on politics, and "politicization of literature" which tackles the impact of politics on literature. The researcher adopts the analytical descriptive approach to describe the viewpoints of some prominent thinkers and critics who formulated theories on the concept of literature and analyze these viewpoints and theories to arrive at results on the concept of literature in general, in addition to some other related terms, such as: committed literature, imaginary literature, betrayal of literature and binary of writer- reader. The researcher also utilizes the historical analytical approach to survey some literary works that had an impact on politics and the way how the relationship between literature and politics has developed since the 16th century till now, in order to explore the changes brought into being by literature in societies. The researcher arrives at a set of results, the most important of which is that political literature is a means to shed light on the continuous conflict between the society and the political authority, in an attempt to awaken peoples to cause the desired change in order to achieve a better life. In addition, political literature is an attempt to make a documentation of political events and occurrences. The research also reveals that the political authority has always persevered in interpreting literature according to its interests, in a manner that allows it to ensure its existence implement its political programs and strengthen its hegemony.The conclusion summarizes the research results.

Keywords: Literature; politics; political literature; relationship between literature and politics; politicization of literature; literarization of politics.

* PhD Candidate, Prince Hussein bin Abdullah II Faculty of International Studies and Political Sciences, The University of Jordan, Amman, Jordan. The research is drawn from a PhD thesis being currently prepared by the researcher.

Received on 26/3/2018 and Accepted for Publication on 6/8/2018.